شاعر آل البيت

دعبل بن علي الخزاعي

دراسة نقدية لآخر المجموعات من شعره

[صنعة الدكتور محمد يوسف نجم]

(٢)

— ٩ —

وننتقل الآن إلى أخطاء التحقيق في المجموعة ، مما يتصل بفهم الكلام وتقويمه وترجيح بعضه على بعض على أساس من استقامة المعنى ، وفي حدود ما تسمح به النصوص وتعين عليه المصادر .

١ — ففي قول الشاعر (النص ٩) :

لما احتبى الضَّيْفُ واعتلتْ حَلوبتُها بكى العِيالُ وغنّى قِدْرُنا طَرَبا

الصحيح الذي لا يصح غيره (انظر : اللسان) وتعين عليه المصادر كلها تقريباً : غنت .

٢ — وفي قوله (النص ١٣) :

فأ . . . . عـلـيّ له آلةٌ وفقحـةُ عمروٍ له دَبّهْ

خطأ صوابه : ألّة ، وهي الحربة . وبه يبين قوله بعده :

فطوراً تُصادفه جَعْبَةً وطوراً تُصادِفُهُ حَرْبَهْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣ — وفي قوله (النص ١٦) :

ولو قبضتْ كفّي على كفّ دِرهمٍ لآبتْ إلى رِجْلي وفي الكفّ عَقْرَبُ

تصحيف صوابه الواضح : رَحْلي .

٤ — وفي قوله (النص ١٧) :

أسودٌ إذا ما كانَ يومُ كَريهةٍ ولكنّهم يومَ اللقاء ثَعالبُ

خطأ — تصححه رواية أخرى من مصادر لم يرجع إليها المحقق — صوابه : وليمة . وبالتصحيح وحده يستقيم معنى البيت .

٥ — وفي قوله (النص ٨) :

فقمتُ له : طالَ عَهْدُ اللّقا فقد غِبْتَ باللهِ أمْ لَمْ تَغِبْ ؟

خطأ في تهذيب تاريخ دمشق الذي نقل عنه المحقق . وفي الأصل المخطوط (وفي بغية الطلب لابن العديم أيضاً) تصحيح الخطأ الواضح :

فهل غِبْتَ بالله أمْ لَمْ تغِبْ ؟

٦ — وفي قوله (النص ٤٤) :

قبورٌ بكوفاتٍ وأُخرى بطَيْبَةٍ . . . . . .

تصحيف آخر صوابه : كوفان ، وهي الكوفة .

٧ — وفي قوله (النص ٦٥) .

وكان أبو خالد مرة إذا باتَ مُتّخِماً قاعدا

تحريف ، صوابه الذي لو عاد المحقق إلى مصادر أخرى لوجده :

كأن أبا خالد مَرْأةٌ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ — وفي قوله عن خصمه أبي سعد المخزومي (النص ٦٧) :

فان سمعتَ به نَعْتَ القَنا عَبَثًا فقدْ أرادَ قَنًا ليست لَهُ عُقَدُ

تحريف لا يستقيم به المعنى ، وصوابه :

فإن سمعتَ له نَعْتَ . . . . . .

٩ — وفي قوله (النص ٧٨) :

إني وجدتكَ في الهوى ذواقةً لا تصبرنَّ على طَعامٍ واحدِ

خطأ عجيب ، صوابه — لو نظر في مصدره — :

إني وجدتكِ في الهوى ذواقَةً لا تَصْبِرِينَ على طَعام واحِدِ

١٠ — وفي قوله (النص ٩٦) :

وإن طُرَّةٌ رابتكَ فانظرْ فربما أمرُّ مذاقُ العُودِ والعُودُ أخْضَرُ

تحريف سهل ، تصححه أكثر من رواية في غير المصدر الذي رجع إليه المحقق . وصوابه :

وإن طُرَّةٌ راقتك فانظر . . . . . .

وبهذا وحده يستقيم معنى البيت .

١١ — وقوله (النص ١٢٤) :

وقلتُ للنفسِ تندبه متى نزحتْ به النَّوى، أو مِن القرن الذي انْقَرَضا

تحريف ، تصويبه :

وقتُ للنفسِ : عُدِّيهِ فتًى نَزَحتْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٢ — وقول الشاعر عن قوم حمص (النص ١٣٦) :

سَمَوْا للمَكْرُمات بآلِ عيسى أحلهمُ على شرفِ التِّلاعِ

خطأ صوابه :

سُمُوّ المَكْرُماتِ بآلِ عيسى

وبذلك يستقيم الكلام في الشطر الثاني .

١٣ — وقوله في آل البيت (النص ١٤١) :

ولو أن أيديَكم تمدُّ إلى الإناء لما انكفا

خطأ صوابه :

. . . . . إلى إناء لانكفا . . .

وفي ذلك رواية يرويها الشيعة عن آل البيت :

١٤ — وقوله يهجو المطلب الخزاعي (النص ١٦٩) :

أمطلبُ أنتَ مُستَعْذِبٌ حُماتِ الافاعي ومُستَقْبلُ

فان أشْفِ منك تكنْ سُبّة وإن أعْفُ عنكَ فما تفعل

تصحيف وتحريف ، الصواب فيها — ولا يستقيم المعنى إلا به — :

. . . . . مستعذبُ حُماتِ الافاعي ومُستَقْتِلُ

. . . . . وإن أعْفُ عنكَ فما تَعْقِلُ

١٥ — وقوله في العناقيد (النص ١٩٦) :

بعناقيد مُشَكَّلَة كشُعورِ الزِّنجِ في الحمم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحريف تضيع به الصورة . والصواب :

. . . مُعَشْكَلَةٍ كشُعور الزِّنْج . .

١٦ - وقوله أيضاً (في النص نفسه) :

فَدَعاها الطلْقُ فانفطرتْ لوِلاد ليس في وَصَمِ

تحريف واضح . صوابه :

لوِلادٍ ليس في رَحِمِ

١٧ — وقوله في تمجيد قومه من اليمانية (النص ٢٠٤) :

وفي صَنَمِ المغاربِ فوقَ رَمْلٍ يَسيل بلونه سَيْلَ السَّفينا

خطأ تصحيحه الروايات . وصوابه :

تَسيلُ تُلولُه سَيْلَ السَّفينا

١٨ — وقوله (في النص نفسه) :

أُحَيّي الغُرَّ من سَرَواتِ قَوْمي لقد حُييتِ عنا يا مَدينا

خطأ ، صوابه :

ولا حُيّيتِ عَنا يا مَدينا

ودعبل هنا يرد على الكميت قوله بفخر بالنزارية :

ألا حييتِ عنا يا مَدينا وهلْ بأسٌ بقولُ مُسَلِّمينا

١٩ — وقوله في رثاء ابراهيم الموصلي (النص ٢١٥) :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سيبكي اليَمُّ من جَزَع عليه وتبكيه المَثالث والمَثاني
وتَشْكِلُهُ القِيانُ وحافظوها ويَنْعاه الرِفاقُ إلى الدِّنانِ

تصحيفان يعرفها بداهة من يعرف رثاء المغنين في أدبنا . وصوابها :

سيبكي البَمّ . . . . . .

(والبَمّ هو الوتر الغليظ من أوتار العود) .

. . . . . وتَنعاه الزِقاق . . . .

٢٠ — وقوله في هجاء خزاعة (النص ٢٢٣) :

الراتقينَ ولاتَ حينَ مَراتقٍ والفاتقينَ شَرائعَ الأَسْتاهِ

تحريف تصحبه رواية أخرى في مصدر لم يطلع عليه المحقق . والصواب :

والفاتقين شَرائجَ الاسْتاهِ

٢١ — وقوله في الأبيات المشهورة (النص ١٥٣) :

وَعْداً بأُخرىٰ عن تطلبها صباً يطامِنْ دُونها الحَسكا

تحريف لا يستقيم به الكلام . وصوابه :

وعدًا بأخرى عزّ مَطْلَبُها

٢٢ — وقوله يهجو مالك بن طوق (النص ٢٢٧) :

قالوا : فَدَعْ داراً على يَمْنَةٍ وتلكها دارُهُمُ فانيَهْ

تحريف واضح ، صوابه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتلكها دارُهُمُ ثانيَـهْ

هذه أمثلة سريعة لما وقع فيه المحقق من أخطاء في تقويم النصوص ، ومثلها كثير ، فإنما اخترنا الأخطاء القريبة .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن المحقق أجاز لنفسه أن يسلخ عن النص إلى الحاشية بيتاً لم يحسن قراءته (النص ١٢٧) ، وأنه ربما غفل عن تقويم الأسماء أيضاً . فأبو نضير بن حميد الطوسي الذي ذكره في مقدمة النص ١٢٣ هو أبو نصير ، بتصغير (نصر) . وأبو نصر بن حميد الطوسي من أولاد هذا القائد العباسي المعروفين .

— ١٠ —

وننتقل بعد ذلك إلى ضبط النصوص . إن ضبط النص المحقَّق فضيلة كبيرة إذا اجتمعت للمحقق القدرة ، والإخلاص الذي يجعله على صلة دائمة بالمعجم ، فهل وفى المحقق بذلك ؟

لننظر في الأمثلة التالية ، وقد اخترنا من كل شيء طرفا :

١ — في قوله (النص ٤٤) :

وأينَ الأُلَى شَطَّتْ بهم غُرْبةُ النَّوى . . . . . .

الأرجح : غَرْبة ، وهي البعد .

٢ — وقول الشاعر (في النص نفسه) :

أرى فَيْئَهم في غيرهمْ متقسِّما وأيديهمُ من فَيْئِهم صَفِراتِ

خطأ واضح ، صوابه : وأيدَيهمْ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣ — وقوله للمأمون (النص ٧٧) :

ان التُّراتِ مُسَهَّدٌ طلاّبُهـــا فاكفُفْ لِعابَكَ عن لُعابِ الأسوَدِ

الصواب : فاكففْ لِعابَك عن لِعاب الأَسوَدِ .

واللِعاب : الملاعبة ، وهو المعنى المقصود .

٤ — وقوله في هجاء مالك بن طوق (النص ٩٣) :

دماؤهمْ ليس لها طالبٌ مطلولةٌ مثلُ دم العُذْرَهْ

الصواب : مثلَ دم العُذْرَهْ .

٥ — وقوله في التغزل بسلمى (النص ١٢٠) :

أنى أحبكِ حبّا لو تَضَمَّنَهُ سلمى سَمِيُّكِ دَكَّ الشاهق الراس

الصواب : دُكَّ الشاهقُ الراسي .

٦ — وقوله في الهجاء (النص ١٤٠) :

وأكرهتُ الهجاء على لَئيمٍ فلمـــا ذاقَهُ ، للوْمِ عافَهْ

خطأ لا يستقيم به الكلام . والصواب :

وأكرهتُ الهجاء . . . . . .

٧ — وقوله في أصحاب المطلب الخزاعي (النص ١٦٩) :

أم الباذِجانيُّ أم عامِر أمينُ الحَمام التي تَزْجُلُ

خطأ ، صوابه : تُزَجَّل . وزجل : أرسل .

٨ — وقوله في أحد المغنين (النص ١٩٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومغنٍ إنْ تَغَنّى أورثَ النُدْمان هَمّا

الصواب : النَدْمان .

٩ — وقوله لعبد الله بن طاهر (النص ٢١٨) .

عينَ مِهْرانَ قد لطمتَ مِراراً فاتقي ذا الجلالِ في مِهْرانِ

ولا يحتاج مثل هذا الخطأ إلى تنبيه ، فإنه يخاطب غير الأنثى[1] .

هذه أمثلة أوردناها دون اختيار مقصود ، ومثلها كثير .

- ١١ -

وفي المجموعة أبيات لم تدوَّر تدويراً حسناً ، مع أن المحقق — في مواضع — حرص على أن يشطر الكلمة في البيت المدور .

١ — إن قول الشاعر مثلاً (النص ٣٤) :

فأبْصِرْ لنفسك كيفَ النزولُ في الأرض عن ظَهْر ما تركبُ

خطأ في التدوير ، صوابه أن تكون اللام في الشطر الثاني .

ولا يخلو أن يقع الإخلال في وزن الشعر لعجز المحقق عن إقامة التحريف :

٢ — فقول الشاعر مثلاً (النص ٢١٦) :

لولا حُوَي لبيتِ لِهْيانِ ما قامَ أ . . . العَزَبِ الفاني

إخلالٌ إقامته على الوجه التالي :

---

(١) بيد أنه لا بد أن تشبع كسرة القاف في « فاتّقي » في النطق حتى تصير ياء ، وذلك ليتزن البيت . فان كان المحقق أثبت الياء لهذا فقد كان ينبغي أن يشير إلى ذلك في الحاشية على الأقل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لولا حُوَيُّ بيتِ لِهْيانِ

(من السريع)

وقد تعوزه الدقة في تسمية البحور :

٤ — فقول الشاعر مثلاً (النص ١٧٣) :

حواجبٌ كالحِبال سودٌ الى عثانينَ كالمخالى

ليس من مجزوء البسيط ، على الدقة ، ولكنه من مخلّع البسيط .

وربما وقع الإخلال في القافية :

٥ — فقول الشاعر مثلاً (النص ٨٣) :

فتخضِبُ الحِنّاء من مُسْوَدِّها

كأنها والكحلُ في مِرْوَدِها

إخلال اسمه (التحريد) لم يقع فيه الشاعر وإنما أوقعه فيه المحقق ، والصواب التشديد :

كأنها والكُحْلُ في مِرْوَدِّها

وانظر ما يقول التبريزي — نقلاً عن المعري — في ذلك (الحماسة ٤/٣٤٨).

وهناك هنات أخرى لا نذكرها هنا .

-١٢-

ونتهي أخيراً إلى سوء التنقيط في المجموعة سوءاً بلغ مداه . فليس في الشعر اعتراض بيّن — على كثرة ما يعترض الشاعر — وليس فيه قول واضح ولا استئناف مفهوم ولا عَلَم مميّز ولا تعجب ولا سؤال !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويمكن أن تجد لذلك أمثلة صارخة كثيرة في مثل الصفحات التالية : ٢٨ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٦ .

وقد اختار المحقق أن يكتب الرجز الكامل على صورتين : فمرة يجعل الشطر الواحد منه بيتاً ومرة شطراً (انظر مثلاً : ص ٩١ و ١٧٢) فليس له في ذلك رأي واحد .

وقد يقع أن ينسى أحياناً إثبات أرقام صفحات المصادر التي يحيل عليها (انظر مثلاً ص ١٦٨) ، وقد ينسى أن يذكر البحر (انظر النص ٢٠١) .

فهذا كله يشبه إغفاله أحياناً بعض الروايات الهامة (ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك يضيق المجال عن ذكرها) ويشبه إغفاله الشعر الكثير المنسوب إلى دعبل حتى في المصادر التي زعم أنه رجع إليها !

- ١٣ -

وبعد : فإنا ننتهي إلى أن المحقق لم يجمع شعر الشاعر ولم ينشره على منهج من المناهج ، وقد فشا فيه الخطأ والإخلال والنقص فشواً يظن معه أن المحقق كان في سباق مع الزمن .

وقد كنا نحسب ان المحقق نفسه — وقد أقبل في الأيام الأخيرة على نشر الدواوين والنصوص الشعرية — أفاد من رأي الباحثين في بعض ما أقدم على نشره ، مثل الرأي النصوح الذي أبداه الأستاذ ابراهيم عبد الرحمن محمد في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات [1] الذي أقدم المحقق على نشره بمثل العجلة التي

(١) انظر نقده في مجلة معهد المخطوطات العربية : المجلد الخامس ، الجزء الثاني الصادر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٩ ص : ٣٨ — ٩٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أقدم بها على نشر مجموعته الصغيرة من شعر دعبل . ولكنه — فيما يبدو — لم يفد منه شيئاً .

على أن الإنصاف له يقتضينا أن نشير إلى أنه أفاد من إحدى ملاحظات الأستاذ ابراهيم فكف عن حشر اسم الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر في مقدمات كتبه ليوهم القارىء أن الأستاذ — حفظه الله — تعهدها بالتصويب ، فيكون في ذلك ترويج لها . غير أنه مع ذلك لم ينس اسم الأستاذ شاكر فذكره في المقدمة ، في موضع نثق أنه لن يكسب به رضى الأستاذ ، ولو ظن ذلك .

إن هذه المجموعة الصغيرة المبتسرة من شعر دعبل — بعد الذي ذكرناه من أخطائها — عمل مهوش مرتجل لا يخضع لقواعد التحقيق العلمي ، ولا يصح أن يوثق به على الإطلاق .

وقد بدأت حركة نشر التراث تنحو — لسوء الحظ — هذا المنحى الخطر في بعض الأوساط ، فأصيبت بشر عظيم ، وانعكس عليها انعكاساً حاداً ما نعاني — في مجتمعنا الكبير — من محنة التمزق وفقدان التماسك ، فاتخذ هذا التراث العظيم وسيلة للكيد والإساءة ، أو اتخذ سبباً إلى التكسب .

وإذا كان جمع شعر شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي وتحقيقه ضرورة قبل اليوم ، فإن جمعه وتحقيقه تحقيقاً علمياً أصبحا منذ اليوم ضرورة أوجب ، حتى لا يقر في أيدي الناس طويلاً هذا المقدار المهوش الناقص المختلط بالمنحول الكثير من شعره ، ويدخل على الباحثين والقراء في ثياب « الديوان » و « التحقيق » ، والشاعر والمحقق منها براء !

الدكتور عبد الكريم الأشتر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net